Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية

توجيه الظواهر الشاذة عند العيني في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري

انصاف عبدالله عواد الحجايا

مديرة مدرسة العدنانية الاساسية المختلطة – وزارة التربية والتعليم

hajayainsaf.gmail.com

استلام البحث: 11-06-2026 مراجعة البحث : 11-07-2026 قبول البحث: 05-08-2026

الملخص

يتناول هذا المقال منهج الإمام بدر الدين العيني في توجيه الظواهر اللغوية والنحوية الشاذة في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بوصفه أحد أهم شروح الحديث التي امتزج فيها التحليل اللغوي بالنقد النحوي والتفسير الحديثي. ويهدف البحث إلى الكشف عن الأسس التي اعتمدها العيني في التعامل مع التراكيب والألفاظ التي تبدو مخالفة للقياس النحوي أو الاستعمال المشهور، وبيان آليات التوجيه التي لجأ إليها، مثل الاعتماد على السماع، والاحتجاج باللهجات العربية، وتعدد الأوجه الإعرابية، وربط الرواية الحديثية بالقواعد اللغوية. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء نماذج مختارة من الكتاب وتحليلها. وتوصلت الدراسة إلى أن العيني تبنى منهجًا مرنًا في التعامل مع الظواهر الشاذة، يقوم على التوفيق بين الرواية والقياس، وتوسيع دائرة الاحتجاج اللغوي، بما يعكس عمق تكوينه النحوي واللغوي.

الكلمات المفتاحية: العيني، عمدة القاري، الظواهر الشاذة، النحو العربي، التوجيه اللغوي، الحديث النبوي.

Abstract:

This article examines Imam Badr al-Din al-Ayni's approach to interpreting irregular linguistic and grammatical phenomena in his book, *Umdat al-Qari Sharh Sahih al-Bukhari*, one of the most important commentaries on hadith that blends linguistic analysis with grammatical criticism and hadith interpretation. The research aims to uncover the foundations al-Ayni relied upon in dealing with structures and words that appear to deviate from grammatical norms or common usage, and to explain the interpretation mechanisms he employed, such as relying on transmitted knowledge, citing Arabic dialects, exploring multiple grammatical interpretations, and linking hadith narrations to linguistic rules. The study adopts a descriptive-analytical approach based on the inductive and analytical examination of selected examples from the book. The study concludes that al-Ayni adopted a flexible methodology in dealing with irregular phenomena, based on reconciling transmitted knowledge with analogical reasoning and expanding the scope of linguistic argumentation, reflecting the depth of his grammatical and linguistic training.

Keywords : Al-Aini, Umdat al-Qari, Anomalous Phenomena, Arabic Grammar, Linguistic Guidance, Prophetic Hadith.

المقدمة

تُعَدُّ اللغة العربية من أشرف اللغات وأغناها بالظواهر والأساليب التي تعكس مرونة التعبير وسعة الاستعمال، وقد حظيت بعناية كبيرة من العلماء قديمًا وحديثًا، ولا سيما ما اتصل منها بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ إذ شكّل الحديث النبوي ميدانًا خصبًا للدراسات اللغوية والنحوية والصرفية، لما اشتمل عليه من تراكيب وأساليب وألفاظ تنوعت بين الفصيح المشهور، وما خرج عن القياس أو المألوف اللغوي، وقد دفع ذلك العلماء إلى تفسير هذه الظواهر وتوجيهها بما ينسجم مع قواعد العربية ولهجاتها واستعمالاتها المختلفة.

ومن أبرز العلماء الذين أولوا هذه الجوانب عناية واضحة الإمام بدر الدين العيني في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الذي يُعَدُّ من أهم شروح صحيح البخاري وأكثرها توسعًا في الجوانب اللغوية والنحوية والفقهية. فقد أظهر العيني تمكنًا كبيرًا في علوم العربية، وكان يقف عند كثير من الألفاظ والتراكيب التي تبدو خارجة عن القياس أو مخالفة للمشهور، فيعمل على توجيهها وبيان وجوه صحتها واستعمالها عند العرب، مستعينًا بأقوال النحاة واللغويين، ومستشهدًا بالقرآن الكريم والشعر العربي والروايات المختلفة.

مشكلة الدراسة

يُعَدُّ كتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين العيني من أبرز شروح الحديث التي امتزج فيها التفسير اللغوي والنحوي بالشرح الحديثي، إذ أولى العيني عناية واضحة بتوجيه الظواهر اللغوية والنحوية التي تبدو خارجة عن القياس أو مخالفة للمألوف في الاستعمال العربي. وقد اعتمد في ذلك على معارفه الواسعة في النحو والصرف واللغة واللهجات، مستندًا إلى أقوال النحاة واللغويين وشواهد القرآن والشعر والروايات المختلفة. وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت منهج العيني في شرح الحديث أو استنباط الأحكام، فإن الدراسات التي خصصت عناية مستقلة بمنهجه في توجيه الظواهر الشاذة ما تزال محدودة، ولا سيما من حيث الكشف عن الأسس اللغوية والنحوية التي اعتمدها في معالجة هذه الظواهر، ومدى تأثره بالمدارس النحوية المختلفة، وطبيعة منهجه في التوفيق بين الرواية الحديثية والقواعد اللغوية. ومن هنا تتحدد مشكلة الدراسة في محاولة الكشف عن منهج الإمام العيني في توجيه الظواهر الشاذة الواردة في كتابه عمدة القاري، وبيان الأسس العلمية التي استند إليها في تفسيرها وتوجيهها.

أسئلة الدراسة

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما المقصود بالظواهر الشاذة في الدراسات اللغوية والنحوية، وما أبرز أنواعها في كتاب عمدة القاري؟
- ما المنهج الذي اتبعه الإمام العيني في توجيه الظواهر الشاذة في كتابه عمدة القاري؟
- ما أبرز الظواهر النحوية والصرفية واللغوية الشاذة التي تناولها العيني بالتوجيه؟
- ما المصادر اللغوية والنحوية التي اعتمد عليها العيني في توجيه هذه الظواهر؟
- إلى أي مدى تأثر العيني بالمدرستين البصرية والكوفية في توجيهاته اللغوية؟
- كيف وظّف العيني الروايات الحديثية والشواهد القرآنية والشعرية في تفسير الظواهر الشاذة وتوجيهها؟
- ما القيمة العلمية لتوجيهات العيني في خدمة الدراسات اللغوية وعلوم الحديث؟

أهمية الدراسة

وتنبع أهمية دراسة توجيه الظواهر الشاذة عند العيني من كونها تكشف عن جانب مهم من منهجه العلمي في التعامل مع النص الحديثي، كما تبرز مدى التداخل بين علوم الحديث واللغة العربية، وتوضح الجهود التي بذلها العلماء في الدفاع عن سلامة النصوص الحديثية وتفسير ما قد يَرِدُ فيها من ظواهر تبدو مخالفة للقياس اللغوي. كما تسهم هذه الدراسة في إبراز

القيمة اللغوية لكتاب عمدة القاري، والكشف عن منهج العيني في الترجيح بين الأقوال النحوية واللغوية، ومدى تأثره بالمدارس النحوية المختلفة. وتأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على منهج الإمام العيني في توجيه الظواهر الشاذة في كتابه عمدة القاري، من خلال تتبع هذه الظواهر وتحليلها، وبيان الأسس العلمية واللغوية التي اعتمد عليها في توجيهها، بما يسهم في إثراء الدراسات اللغوية والحديثية، وإبراز مكانة العيني العلمية في ميدان شرح الحديث وخدمة اللغة العربية.

الدراسات السابقة

حظيت الدراسات اللغوية في شروح الحديث النبوي بعناية ملحوظة لدى الباحثين المعاصرين؛ لما تكشفه من تداخل بين علوم اللغة والحديث، ولا سيما في شروح الأئمة الذين جمعوا بين الرواية والدراية، ومن أبرزهم الإمام بدر الدين العيني في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري. وقد تنوعت الدراسات السابقة بين ما تناول التوجيه النحوي، أو القضايا الصرفية، أو الظواهر اللغوية في كتب التراث عامة، وفي شروح الحديث خاصة، إلا أن الدراسات التي خصّت «الظواهر الشاذة» عند العيني بالدراسة المستقلة ما تزال محدودة، الأمر الذي يمنح هذا البحث أهميته العلمية.

هدفت دراسة عبد اللطيف الشامين (2015) فقد ركزت على دلالات الألفاظ عند الإمام بدر الدين العيني في عمدة القاري، حيث بينت أن العيني يمتلك قدرة تحليلية دقيقة في تفسير الألفاظ في سياقها الحديثي، مع اعتماده على أدوات لغوية متعددة لفهم المعنى. وقد أوضحت الدراسة أن العيني يهتم بالسياق في توجيه الدلالة، إلا أنها لم تتناول الظواهر النحوية الشاذة بشكل مباشر، وإنما ركزت على الجانب الدلالي.

وفي سياق قريب، جاءت دراسة ظافر هاشم (2012) التي تناولت الجوانب الفقهية عند الإمام العيني في عمدة القاري، وأظهرت الطبيعة الموسوعية للكتاب، حيث يجمع بين الفقه والحديث واللغة، كما بينت الدراسة أن العيني يولي اهتمامًا ملحوظًا بالتحليل اللغوي ضمن شرحه، إلا أن تركيزها كان منصبًا على الجانب الفقهي أكثر من التحليل النحوي الدقيق، ولم تتطرق إلى الظواهر اللغوية الشاذة.

وهدفت دراسة أبو جليدان (2009) إلى الكشف عن منهج الإمام بدر الدين العيني النحوي في كتابه عمدة القاري، حيث توصلت إلى أن العيني اعتمد منهجًا تحليليًا واسعًا في معالجة القضايا النحوية الواردة في الأحاديث النبوية، مع كثرة الاستشهاد بالشواهد القرآنية والحديثية والشعرية، إضافة إلى ميله إلى عرض آراء النحاة المختلفة دون الاقتصار على مذهب واحد، ثم الترجيح بينها وفق السياق. وتبرز أهمية هذه الدراسة في أنها تُظهر الإطار العام للمنهج النحوي عند العيني، إلا أنها لم تتناول الظواهر الشاذة بوصفها موضوعًا مستقلًا.

وفي دراسة أخرى لمحمد عبد القادر هناري (2004)، تم تناول الاحتجاج النحوي بالحديث النبوي عند الإمام العيني، حيث توصلت إلى أن العيني يستخدم الحديث النبوي كأحد مصادر الاحتجاج النحوي، ويعتمد في توجيه القضايا اللغوية على الموازنة بين السماع والقياس، مع محاولة إزالة الإشكالات النحوية الواردة في النصوص. وتعد هذه الدراسة ذات صلة جزئية بموضوع البحث، لأنها تبرز آلية التوجيه النحوي، لكنها لا تتناول الظواهر الشاذة بشكل مستقل.

كما تناولت دراسة أيوب عبدون (1997) جهود الإمام بدر الدين العيني النحوية في مؤلفاته، وأشارت إلى اهتمامه الواضح بتوظيف القواعد النحوية في تفسير النصوص، مع عنايته بتوجيه التراكيب غير القياسية وفق أصول النحو العربي. وقد أكدت الدراسة أن العيني كان يعتمد على السماع والقياس في معالجة القضايا اللغوية، إلا أنها لم تخصص جانبًا مستقلًا لدراسة الظواهر الشاذة أو تحليل آليات توجيهها داخل عمدة القاري.

وبالنظر إلى مجمل الدراسات السابقة، يتضح أنها على الرغم من أهميتها في إبراز الجوانب النحوية واللغوية والفقهية في كتاب عمدة القاري، إلا أنها لم تتناول بشكل مباشر ومفصل موضوع "الظواهر الشاذة عند الإمام العيني وآليات توجيهها"، وإنما جاءت معالجتها ضمن موضوعات أوسع تتعلق بالمنهج النحوي أو الدلالة أو الاحتجاج. ومن هنا تتحدد الفجوة البحثية لهذه الدراسة في كونها تسعى إلى تحليل الظواهر الشاذة بشكل مستقل، والكشف عن طرائق توجيهها عند العيني، وهو ما يمنح هذه الدراسة طابعًا تخصصيًا دقيقًا يميزها عن الدراسات السابقة. وبناءً على ذلك، يمكن القول إن هذه الدراسة تأتي استكمالًا لما قدمته الدراسات السابقة، إلا أنها تتميز عنها في التركيز على جانب محدد ودقيق، يتمثل في الظواهر الشاذة النحوية وكيفية توجيهها داخل كتاب عمدة القاري، بما يسهم في تعميق الفهم اللغوي لمنهج الإمام العيني في التعامل مع النصوص الحديثية.

منهج الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك لملاءمته لطبيعة موضوعها الذي يتناول توجيه الظواهر الشاذة عند الإمام بدر الدين العيني في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ويقوم هذا المنهج على وصف الظواهر اللغوية والنحوية كما وردت في النصوص، ثم تحليلها تحليلاً علميًا يهدف إلى الكشف عن آليات التوجيه التي استخدمها العيني في معالجة التراكيب الشاذة، وبيان الأسس النحوية التي اعتمد عليها في ذلك، سواء أكانت سماعية أم قياسية أم تأويلية. كما تستند الدراسة إلى أسلوب التحليل النصي المباشر للنصوص المختارة من الكتاب، من خلال تتبع المواضع التي عرض فيها العيني ظواهر لغوية غير مطردة، ودراسة كيفية تعامله معها في ضوء القواعد النحوية وآراء العلماء. وبذلك يسهم هذا المنهج في تحقيق أهداف الدراسة من خلال تفسير الظواهر المدروسة تفسيرًا علميًا دقيقًا، والكشف عن منهج العيني في التوجيه اللغوي داخل سياق شرحه لصحيح البخاري.

المبحث التمهيدي: التعريف بالإمام بدر الدين العيني وكتابه عمدة القاري

أولًا: التعريف بالإمام بدر الدين العيني

هو الإمام العلامة بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيني[1]، أحد أبرز علماء القرن التاسع الهجري، وُلد في مدينة عين تاب (من بلاد الشام آنذاك) سنة 762هـ تقريبًا[2]، ونشأ في بيئة علمية ساعدته على التكوين المبكر في علوم الشريعة واللغة. ارتحل في طلب العلم، فسمع من عدد من كبار العلماء في عصره، وبرز في الفقه

[1] معتوق، صالح يوسف، (1983)، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ص 55

[2] عين تاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها، وهي الآن من أعمال حلب. انظر معجم البلدان، ج4، ص 176.

الحنفي، والحديث النبوي، واللغة العربية، والتاريخ[3]. وقد تميز الإمام العيني بسعة الاطلاع وقوة الاستيعاب، إذ جمع بين علوم متعددة، مما أهّله ليكون من كبار الشراح والموسوعيين في التراث الإسلامي. تولّى مناصب علمية وقضائية في الدولة المملوكية، وكان له حضور علمي مؤثر في الحياة العلمية في القاهرة، حيث استقر في مراحل مهمة من حياته. وقد عُرف العيني بمنهجه الموسوعي في التصنيف، إذ لم يقتصر على فن واحد، بل ألّف في الحديث والفقه والتاريخ واللغة، ومن أشهر مؤلفاته: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، والبناية في شرح الهداية، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. ويُعدّ من العلماء الذين جمعوا بين الرواية والدراية، وبين الفقه واللغة، مما انعكس على عمق تحليلاته في كتبه[4].

ثانيًا: التعريف بكتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري

يُعد كتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري من أهم وأوسع شروح صحيح البخاري، بل يُصنّف ضمن الموسوعات العلمية الكبرى في شرح الحديث النبوي الشريف. وقد ألف الإمام العيني هذا الكتاب في بيئة علمية تنافست فيها الشروح الحديثية، وكان هدفه تقديم شرح يجمع بين الدقة الحديثية والتحليل اللغوي والفقهي، مع التوسع في بيان المعاني، وإزالة الإشكالات المتعلقة بالألفاظ والتراكيب[5].

وقد تميز الكتاب بعدة خصائص، من أبرزها:

- **الاهتمام اللغوي والنحوي:** إذ يشرح العيني الألفاظ الغريبة، ويحلل التراكيب النحوية، ويبين وجوه الإعراب المختلفة، مع الاستشهاد بالشواهد العربية.
- **المنهج الموسوعي:** حيث لا يقتصر على شرح الحديث، بل يتناول مسائل فقهية ولغوية وأصولية وتاريخية.
- **كثرة النقل عن العلماء:** إذ يعتمد على أقوال النحاة والمفسرين واللغويين مثل سيبويه، والفراء، وابن جني، وغيرهم.
- **المقارنة بين الأقوال:** فهو كثيرًا ما يعرض الآراء المختلفة ويرجح بينها وفق منهج علمي.
- **الدقة في توجيه المشكلات اللغوية:** خاصة ما يتعلق بالظواهر التي تبدو شاذة أو مخالفة للقياس.

ويُظهر هذا الكتاب مكانة الإمام العيني العلمية، وقدرته على الجمع بين علوم الحديث واللغة، مما جعل كتابه مرجعًا مهمًا في الدراسات الحديثية واللغوية على حد سواء، ومصدرًا أساسًا في دراسة شروح صحيح البخاري.

المطلب الثاني: مفهوم الظواهر اللغوية والنحوية الشاذة

تُعدّ الظواهر الشاذة من المفاهيم المركزية في الدراسات اللغوية والنحوية، لما تمثله من خروجٍ ظاهري عن القواعد القياسية المستنبطة من الاستعمال العربي. ويُقصد بها في التراث اللغوي تلك التراكيب أو الصيغ أو الاستعمالات التي لا تجري على القياس النحوي أو الصرفي المشهور، لكنها مع ذلك ثابتة السماع عن العرب الفصحاء، سواء وردت في القرآن الكريم،

[3] السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، ج 10، ص 131.
[4] معتوق، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، ص 85– 123.
[5] معتوق، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، ص 211– 212.

أو الحديث النبوي، أو الشعر العربي، أو كلام العرب في لهجاتهم المختلفة[6]. ولا يُفهم مصطلح "الشاذ" في هذا السياق على أنه خطأ لغوي أو فساد في الاستعمال، بل هو وصف اصطلاحي عند النحاة يراد به ما قلّ وروده أو خالف الأغلب من القواعد، مع بقاء صحته من جهة السماع والاحتجاج[7]. ولذلك فرّق العلماء بين "الشاذ" و"الخطأ"، فالشاذ مقبول إذا ثبت نقله عن العرب، بينما الخطأ مردود لا أصل له في كلامهم[8].

وقد اتسع مفهوم الظواهر الشاذة عند النحاة الأوائل، فشمل عدة مستويات لغوية، منها: الظواهر النحوية المتعلقة بالإعراب والتركيب، والظواهر الصرفية المتعلقة ببنية الكلمة، والظواهر الدلالية التي يظهر فيها انتقال في المعنى أو تعدد في الاستعمال. كما ارتبط هذا المفهوم ارتباطًا وثيقًا بمسألة الاحتجاج اللغوي، إذ كان معيار القبول عند النحاة قائمًا على السماع الموثوق عن العرب، لا على القياس وحده[9].

ويُلاحظ أن النحاة قد تعاملوا مع هذه الظواهر بمرونة منهجية؛ فالبصريون يميلون غالبًا إلى تضييق دائرة القياس، وعدّ الشاذ خارجًا عنه مع توجيهه، بينما يتوسع الكوفيون في قبول السماع ولو خالف القياس[10]. ومن هنا نشأ اتجاه توفيقي عند عدد من العلماء المتأخرين، يقوم على محاولة الجمع بين القياس والسماع، وتوجيه ما يبدو شاذًا على وجه صحيح يرفع التعارض بين القاعدة والاستعمال. وفي ضوء هذا الإطار، تكتسب الظواهر الشاذة أهمية خاصة في الدراسات التطبيقية، لأنها تكشف عن مرونة النظام اللغوي العربي، وتُبرز قدرة العلماء على استيعاب التنوع في الاستعمال، بدل الحكم عليه بالرفض أو الإقصاء[11]، كما تمثل مجالًا خصبًا للدراسة عند شراح الحديث، وفي مقدمتهم الإمام بدر الدين العيني، الذي سعى في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري إلى توجيه كثير من هذه الظواهر وإيجاد تخريجات نحوية ولغوية لها، بما يضمن انسجامها مع أصول العربية واستعمالاتها الموثوقة.

المبحث الثاني: التوجيه النحوي للظواهر الشاذة عند الإمام العيني في كتاب عمدة القاري

يُعَدُّ التوجيه النحوي من أبرز الجوانب العلمية التي اعتنى بها الإمام بدر الدين العيني في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري، إذ لم يقتصر دوره على شرح المعاني الحديثية والفقهية، بل توسع في معالجة القضايا اللغوية والنحوية التي قد تبدو خارجة عن القياس أو مخالفة للمشهور من قواعد العربية. وقد كشف ذلك عن تمكنه في علوم اللغة، وسعة اطلاعه على آراء النحاة واللغويين، فضلًا عن قدرته على الربط بين الرواية الحديثية والتوجيه النحوي[12]، ومن خلال تتبع نصوص عمدة القاري يظهر أن العيني كان يتعامل مع الظواهر النحوية الشاذة بوصفها ظواهر قابلة للتفسير والتخريج، لا أخطاء لغوية أو اضطرابات في الرواية؛ لذلك كان يلجأ إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم، والشعر العربي، ولهجات العرب، وأقوال أئمة النحو؛ لتقوية توجيهاته وإثبات صحة الاستعمال.

---

[6] ابن جني، أبو الفتح عثمان، (2008)، الخصائص، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج1، ص97.

[7] الرفايعة، حسين عباس، (2005)، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ص 31– 33.

[8] ابن جني، الخصائص، ج 2، ص383.

[9] سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، (1988)، الكتاب، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، ص335.

[10] أبو البركات الانباري، كمال الدين، (2003)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، بيروت، ج 2، ص 349.

[11] الرفايعة، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي، ص 72.

[12] معتوق، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، ص 213– 214.

أولًا: الحذف والتقدير في التراكيب النحوية

من الظواهر النحوية التي تناولها العيني بالتوجيه ظاهرة حذف حرف الجر، وهي من الأساليب المعروفة في كلام العرب، إلا أنها قد تبدو مخالفة للأصل النحوي في بعض المواضع. ومن ذلك ما أورده عند شرح حديث: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) في صحيح البخاري.

فقد أشار العيني عند شرحه إلى أن بعض الأفعال قد تتعدى بنفسها تارة، وبحرف الجر تارة أخرى، وأن حذف الجار وارد في كلام العرب على سبيل التوسع والاختصار، مستشهدًا بما ورد في القرآن الكريم وكلام العرب، ومبينًا أن الاستعمال الحديثي لا يخرج عن سنن العربية المسموعة[13]، ويتضح من هذا النص أن العيني لم يتعامل مع الظاهرة بوصفها خروجًا عن القاعدة، وإنما وجّهها اعتمادًا على السماع العربي، وهو ما يدل على تقديمه الرواية الثابتة إذا عضدها الاستعمال اللغوي المعتبر. كما يُلاحظ أن العيني اعتمد في توجيهه على المنهج التوفيقي بين القاعدة النحوية والرواية الحديثية، فلم يُضعف الرواية بسبب ظاهرها النحوي، بل بحث عن وجهها اللغوي الصحيح، وهو منهج سار عليه كثير من شراح الحديث واللغويين.

ومن المسائل النحوية التي ناقشها الإمام العيني قضية حذف خبر «لولا»، حيث نقل رأي جمهور النحاة القائل بوجوب حذف خبرها إذا كان كونًا مطلقًا عامًا، ثم بيّن أن هذا الحذف ليس مطّردًا في جميع الأحوال، بل يجوز إظهار الخبر إذا كان خاصًا لا عامًا[14]. واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

ولولا الشعرُ بالعلماءِ يُزري لكنتُ اليومَ أشعرَ من لبيد[15]

ويكشف هذا المثال عن منهج العيني في التعامل المرن مع القاعدة النحوية، إذ لا يكتفي بنقل الحكم المشهور، بل يقيّده بالسياق والدلالة، ويستشهد بالشعر العربي لإثبات جواز الوجه المخالف للمألوف. كما يظهر اعتماده على مبدأ التخصيص في تفسير الظاهرة النحوية، وهو ما يدل على وعيه بأن القواعد ليست جامدة، وإنما تتأثر بالسياق والاستعمال.

كان الإمام العيني ينظر إلى الحذف بوصفه أسلوبًا عربيًا قائمًا على الاختصار وكثرة الاستعمال، لا خروجًا عن القاعدة النحوية، ويتضح ذلك في مناقشته لمسألة حذف المنادى بعد «يا» الداخلة على «ليت»، حيث خالف رأي ابن مالك القائل بتقدير منادى محذوف، ورفض هذا التوجيه بحجة أن العرب لم تستعمل المنادى ظاهرًا قبل «ليت» حتى يُحكم بحذفه. واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ [مريم: 23]. ثم قرر أن «يا» هنا ليست للنداء، وإنما للتنبيه، شبيهة بأداة «ألا» في قولهم: «ألا ليت شعري»، ويكشف هذا المثال عن دقة العيني في التفريق بين الحذف الجائز والحذف المتكلف، إذ ربط صحة الحذف بثبوت الاستعمال العربي، فالحذف عنده لا يصح إلا إذا ورد الأصل المحذوف مستعملاً

[13] العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص225.

[14] العيني، عمدة القاري، ج 2، ص 203.

[15] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان القرشي، (1974)، ديوان الإمام الشافعي، دار الجيل، بيروت، ص 29.

في كلام العرب. ولذلك أجاز حذف المنادى في مواضع الأمر والدعاء لكثرة وروده[16]، مثل قوله تعالى: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: 12]، وقوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الأعراف: 134].

كما يظهر أثر التقدير النحوي في تفسيره لبعض التراكيب الأخرى، مثل حديثه عن لفظ «مرحبًا»، حيث نقل رأي سيبويه جعله مفعولًا منصوبًا بعامل مضمر لازم الإضمار، أي: «صادفت رحبًا وسعة»، مما يدل على حضور فكرة التقدير في توجيه التراكيب العربية عنده[17]، كذلك ناقش العيني مسألة حذف أحد المضافين في بعض التراكيب، معترضًا على من لجأ إلى التقدير لتأويل النص، ومؤكدًا أن الاستعمال العربي قد يجيز اجتماع مضافين لشيء واحد دون حاجة إلى حذف أو تأويل متكلف، مستشهدًا بالشواهد الشعرية العربية[18].

ويبرز من خلال هذه التوجيهات أن العيني كان يتعامل مع الحذف والتقدير بمنهج يقوم على التوازن بين القياس والسماع، ويرفض التقديرات النحوية التي لا يسندها استعمال عربي ثابت، مما يعكس وعيًا عميقًا بطبيعة النظام النحوي العربي.

ثانيًا: توجيه اختلاف الإعراب بين الروايات

ومن الظواهر التي اعتنى بها العيني أيضًا اختلاف الإعراب الناتج عن تعدد الروايات، حيث كان يحرص على تخريج كل رواية تخريجًا نحويًا صحيحًا. ومن ذلك ما أورده عند شرح حديث: (لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ).

فقد ناقش العيني أوجه إعراب كلمة «الصيام»، وبيّن أن الروايات الواردة تحتمل أكثر من وجه نحوي، وأن اختلاف الضبط يؤدي إلى اختلاف دلالي يسير دون أن يخل بأصل المعنى. ثم أوضح أن دخول «أل» على المصدر وتقديم الخبر وتأخير الاسم جاء وفق أساليب العرب في التعبير[19]، ويكشف هذا المثال عن تمكن العيني من الربط بين الصناعة النحوية والدلالة المعنوية، إذ لم يكن هدفه مجرد بيان الإعراب، وإنما توضيح أثره في فهم الحديث واستنباط معناه، كما يظهر اعتماده على مبدأ تعدد الأوجه الإعرابية ما دامت تحتملها العربية، وهو اتجاه يعكس مرونة المدرسة النحوية عنده، وابتعاده عن التضييق في قبول الروايات الحديثية.

ومن المواضع التي تكشف عن عمق التحليل النحوي عند الإمام العيني مناقشته لمسألة "الكاف" في باب المقارنة، حيث عرض رأي الكرماني القائل بأن الكاف المفردة قد تكون جارة أو اسمًا غير جار، ثم ناقش هذا الرأي مناقشة لغوية دقيقة، مبينًا أن العلماء قد اختلفوا في حقيقة الكاف وأقسامها. ويذكر العيني أن الكاف في قوله: «فداروا كما هم» تحتمل وجهين؛ أحدهما أن تكون للاستعلاء، والثاني أن تكون كاف المبادرة، مرجحًا الوجه الثاني لما ينسجم مع السياق اللغوي والتركيب النحوي[20]، ويكشف هذا المثال عن منهج العيني في توسيع الاحتمال الإعرابي وعدم الجمود على وجه واحد، إذ لم يكتفِ

[16] العيني، عمدة القاري، ج 1، ص 58.
[17] العيني، عمدة القاري، ج 1، ص 306.
[18] العيني، عمدة القاري، ج 2، ص 95- 96.
[19] العيني، عمدة القاري، ج 11، ص 47- 48.
[20] العيني، عمدة القاري، ج 1، ص 243.

بنقل آراء النحاة، بل ناقشها ورجّح بينها اعتمادًا على السياق والمعنى، كما يظهر ميله إلى التوجيه القائم على الاستعمال اللغوي لا على القياس المجرد، وهو ما يعكس مرونة منهجه النحوي في التعامل مع الظواهر المحتملة في النص الحديثي.

ومن الظواهر النحوية التي تناولها العيني بالتوجيه مسألة وقوع الحال من النكرة وتقديمها على صاحبها، وهي من المسائل التي أثارت خلافًا بين النحاة بسبب ارتباطها بشرط التخصيص، وقد أجاز العيني وقوع الحال من النكرة إذا وُصفت أو خُصصت بشيء، مستدلًا بقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: 4]. وبيّن أن لفظة «أمر» وإن جاءت نكرة، إلا أنها اكتسبت تخصيصًا بالوصف، مما سوّغ مجيء الحال منها. كما أشار إلى أمثلة أخرى من كلام العرب، مثل: "جاء غلامُ رجلٍ قائمًا"، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: 4]، حيث جاءت النكرة مخصصة بالسياق[21].

ويبرز في هذا المثال اعتماد العيني على المعنى والسياق في تفسير الظاهرة النحوية، إذ لم يقف عند ظاهر القاعدة، بل نظر إلى القرائن الدلالية التي تمنح التركيب مشروعيته النحوية، مما يكشف عن تكامل التحليل النحوي والدلالي في منهجه.

ومن المواضع التي تكشف عن عمق التحليل الدلالي والنحوي عند الإمام العيني حديثه عن لفظة «اللهم»، حيث عرض الرأي النحوي المشهور القائل إن أصلها منادى حذفت منه أداة النداء، وعُوِّض عنها بالميم المشددة في آخر الكلمة. ثم تجاوز العيني هذا التفسير الشكلي إلى بيان الدلالات السياقية لاستعمالها، موضحًا أنها تأتي على ثلاثة أنحاء: الأول للنداء المحض، والثاني للإيذان بندرة المستثنى في نحو قولهم: «اللهم إلا أن يكون كذا»، والثالث لتأكيد الجواب وإشهاد الله تعالى عليه في نحو: «اللهم نعم» أو «اللهم لا»[22]، ويكشف هذا التوجيه عن منهج العيني في الربط بين الوظيفة النحوية والدلالة السياقية، إذ لم يكتفِ ببيان أصل اللفظة من جهة الصناعة النحوية، بل اهتم بتحليل استعمالاتها التداولية في الكلام العربي، كما يظهر إدراكه أن التوجيه النحوي لا ينفصل عن المقام والسياق، وهو ما يعكس نزعة لغوية متقدمة في تفسير التراكيب.

ثالثًا: موقف العيني من السماع والقياس

يُعدّ موقف الإمام العيني من العلاقة بين السماع والقياس من أبرز الملامح المنهجية في توجيهاته النحوية، إذ يظهر من خلال نصوص عمدة القاري أنه لا يلتزم بالقياس النحوي التزامًا مطلقًا، بل يجعل السماع العربي الصحيح أصلًا يُحتج به، ويُقدَّم عند التعارض مع بعض الأقيسة النحوية. وقد تجلى ذلك في عدد من المواضع التي ناقش فيها آراء النحاة، وردّ بعض الأحكام المبنية على القياس إذا عارضها نص ثابت من القرآن الكريم أو الحديث النبوي أو كلام العرب.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك موقفه من خبر «كان» إذا جاء ضميرًا متصلًا، فقد ذهب أكثر النحاة إلى أن القياس يقتضي أن يكون خبر «كان» ضميرًا منفصلًا، فيقال: «صديقي كنتُ إيّاه»، ولا يقال: «صديقي كنتُه». غير أن العيني أجاز مجيء الخبر ضميرًا متصلًا محتجًا بما ورد في الحديث النبوي الصحيح، وهو قوله ﷺ في شأن ابن صياد: «إن يكنه فلن

[21] العيني، عمدة القاري، ج 1، ص 267.

[22] العيني، عمدة القاري، ج 2، ص 21.

تُسلَّط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله»[23]، وقد علّق العيني على هذا الاستعمال بقوله: «هذا الضمير المتصل في يكنه هو خبرها، وقد وضع موضع المنفصل، واسم يكن مستتر فيه»[24]، ويكشف هذا التوجيه عن منهج العيني في الاحتجاج بالسماع النبوي، إذ رأى أن ورود التركيب في الحديث الصحيح كافٍ لإثبات فصاحته وصحته اللغوية، مهما خالف بعض الأقيسة النحوية المتأخرة، كما يظهر رفضه حصر الاستعمال العربي في القواعد النظرية المجردة، وإيمانه بأن النصوص المسموعة تمثل الأساس الذي تُبنى عليه القواعد لا العكس.

ويؤكد هذا الاتجاه ما ذهب إليه ابن مالك في دفاعه عن جواز اتصال الضمير في خبر «كان»، إذ عدّ الاتصال هو الأصل، واستدل بالحديث النبوي نفسه وبالشعر العربي، مبينًا أن منع هذا الاستعمال لا ينسجم مع السماع الثابت عن العرب[25]. ومن ثمّ فإن موقف العيني في هذه المسألة يعكس نزعة وصفية تقوم على تتبع الاستعمال اللغوي الموثوق والاحتجاج به، وهو ما ينسجم مع منهجه العام في توجيه الظواهر اللغوية والنحوية التي تبدو خارجة عن القياس.

ومن المواضع التي تكشف عن نزعة العيني النقدية في التوجيه النحوي واللغوي حديثه عن معنى الإضراب، حيث ناقش رأي الكرماني في بعض التوجيهات النحوية، ثم ردّ عليه بقوله: «هذا كله تعسف ناشئ من عدم الوقوف على أسرار العربية»[26]، ويظهر من هذا النص أن العيني لا يكتفي بمجرد نقل الأقوال، بل يمارس نقدًا لغويًا قائمًا على فهم طبيعة الاستعمال العربي، ويؤكد أن كثيرًا من الظواهر التي تبدو مخالفة للقياس يمكن تفسيرها بالرجوع إلى أساليب العرب وسنن كلامهم. كما يعكس هذا الموقف اعتماد العيني على السماع والذوق اللغوي إلى جانب القاعدة النحوية، وهو ما يجسد منهجه التوفيقي بين الرواية والاستعمال.

المبحث الثالث: التوجيه اللغوي واللهجي واختلاف الروايات عند الإمام العيني في عمدة القاري

يُعدّ التوجيه اللغوي واللهجي، إضافةً إلى معالجة اختلاف الروايات، من أبرز الجوانب المنهجية في كتاب الإمام بدر الدين العيني عمدة القاري شرح صحيح البخاري، إذ يكشف هذا الجانب عن سعة اطلاعه على لغات العرب ولهجاتهم، وقدرته على تفسير الظواهر التي تبدو غريبة أو شاذة في ضوء التنوع اللغوي في العربية. كما يُظهر منهجه وعيًا دقيقًا بأن النص الحديثي قد نُقل عبر روايات متعددة، مما يترتب عليه تنوع في الصياغة والدلالة والإعراب. ويقوم منهج العيني في هذا المبحث على ثلاث ركائز أساسية: توظيف اختلاف اللهجات في تفسير الظواهر، والرجوع إلى المعاجم وأقوال أهل اللغة في شرح الألفاظ الغريبة، ثم التعامل مع اختلاف الروايات بوصفه مصدرًا لتعدد المعنى لا سببًا للتعارض.

المطلب الأول: اختلاف لهجات العرب في التوجيه

اعتمد العيني في كثير من توجيهاته على اختلاف لهجات العرب، وعدَّ ذلك من أهم الوسائل في تفسير الظواهر التي تبدو شاذة أو خارجة عن القياس. ومن الأمثلة على ذلك ما أورده في شرح بعض الألفاظ التي جاءت على غير اللغة المشهورة،

[23] صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات ، هل يصلى عليه.

[24] العيني، عمدة القاري، ج 7، ص 88.

[25] ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي الجياني، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، مكتبة ابن تيمية، ص 27– 28.

[26] العيني، عمدة القاري، ج 1، ص243.

إذ يذكر أن هذا الاستعمال «لغة تميم» أو «لغة أهل الحجاز»، ثم يبين أن العرب تختلف في بعض الأبنية والتراكيب بحسب البيئة والقبيلة[27].

ويُظهر هذا التوجيه سعة اطلاع العيني على اللهجات العربية، كما يكشف عن إدراكه أن الاحتجاج باللغة لا يقتصر على الوجه الأشهر فقط، بل يشمل ما ثبت عن العرب الفصحاء ولو كان أقل استعمالًا. ومن هنا فإن العيني كان ينظر إلى الظاهرة الشاذة نظرة لغوية وصفية تقوم على تتبع الاستعمال العربي، لا على الجمود عند القياس النحوي وحده، وهو ما ينسجم مع طبيعة النصوص الحديثية التي نُقلت بالرواية والسماع.

ومن الأمثلة التي تظهر عناية الإمام العيني بالتنوع اللهجي والصوتي في العربية حديثه عن أداة «رُبَّ»، حيث ناقش الخلاف النحوي في حقيقتها بين البصريين والكوفيين؛ فالبصريون يعدّونها حرفًا، بينما يذهب الكوفيون إلى أنها اسم. ثم انتقل إلى بيان تنوع لغاتها، فنقل عن الكرماني أنها وردت على عشر لغات، وأضاف قائلاً: «قلت: فيها ست عشرة لغة»، ثم فصّل هذه الأوجه من حيث ضم الراء وفتحها، وتشديد الباء وتخفيفها، وإلحاق تاء التأنيث بها أو تجريدها منها[28]، ويبرز في هذا النص اتساع المعرفة اللغوية عند العيني، وحرصه على تتبع الاختلافات الصوتية واللهجية للأداة الواحدة، مما يدل على نظرته إلى العربية بوصفها لغة متعددة الأوجه لا تقتصر على صورة قياسية واحدة، كما يعكس هذا المثال اعتماده على السماع اللغوي في إثبات صحة الاستعمالات المختلفة، وهو ما ينسجم مع منهجه العام في توجيه الظواهر الشاذة.

المطلب الثاني: الألفاظ الغريبة وتفسيرها

يولي العيني عناية كبيرة بشرح الألفاظ الغريبة الواردة في نصوص الحديث، حيث يرجعها إلى أصولها اللغوية ويبين معانيها في كلام العرب. ففي مواضع متعددة من شرحه، عند تفسير ألفاظ غير مألوفة في الاستعمال المعاصر، يقوم العيني بنقل أقوال أهل اللغة في معناها، ثم يحدد دلالتها في السياق الحديثي، مستعينًا بالمعاجم وأقوال أئمة اللغة، مثل الخليل بن أحمد وسيبويه وغيرهما، يكشف هذا المنهج أن العيني يتعامل مع الغرابة اللغوية بوصفها إشكالًا دلاليًا يحتاج إلى تفسير، لا بوصفها خللًا في النص، مما يعزز البعد المعجمي في شرحه الحديثي.

ومن المواضع التي تكشف عن عناية الإمام بدر الدين العيني بالتحليل اللغوي والدلالي تفسيره لعنوان «كتاب الرقاق»، حيث بدأ بتتبع الأصل اللغوي لكلمة «الرِّقاق»، موضحًا أنها جمع «رقيق» المشتق من الرِّقة، ثم نقل أقوال أئمة اللغة في بيان دلالتها، مستشهدًا بقول ابن سيده: «الرقة الرحمة»، وقوله: «الرقة ضد الغلظة»، مع بيان تصريف المادة اللغوية واستعمالاتها المختلفة، مثل: «رقّ يرقّ رقّةً فهو رقيق ورقاق»[29]. ثم انتقل العيني إلى بيان اختلاف الروايات في تسمية الباب، فذكر أن بعض النسخ ورد فيها «كتاب الرقاق»، بينما عبّر بعض العلماء بلفظ «الرقائق»، موضحًا أن المعنى واحد؛ لأن «الرقاق» جمع «رقيق»، و«الرقائق» جمع «رقيقة»، وكلاهما يدل على ما يورث رقة القلب ولينه. كما علّل تسمية الباب بذلك بقوله إن أحاديثه "تُحدث في القلب رقة"، ويكشف هذا النص عن منهج العيني في التفسير اللغوي القائم

[27] العيني، عمدة القاري، ج3، ص74.
[28] العيني، عمدة القاري، ج2، ص35.
[29] العيني، عمدة القاري، ج3، ص74.

على الجمع بين الاشتقاق، والدلالة المعجمية، واختلاف الروايات، حيث لا يكتفي ببيان المعنى المباشر للفظ، بل يعود إلى أصوله اللغوية وصيغه الصرفية واستعمالاته المختلفة في كلام العرب. كما يظهر حرصه على الربط بين البنية اللغوية والمعنى المقصود من التبويب الحديثي، مما يعكس تكامل التحليل اللغوي والدلالي في شرحه.

ومن الجوانب اللغوية التي اعتنى بها الإمام العيني تفسير الألفاظ ذات الدلالة العقدية أو الغيبية الواردة في الحديث النبوي، كما في شرحه لقوله: «ومن فتنة القبر وعذاب القبر»، حيث فسر فتنة القبر بأنها سؤال منكر ونكير، وبيّن أن العذاب يأتي بعد ذلك للمجرمين، فجعل الفتنة مقدمة للعذاب. وكذلك في قوله: «ومن فتنة النار وعذاب النار»، حيث أوضح أن فتنة النار تتمثل في سؤال خزنة جهنم للكفار على سبيل التوبيخ[30]، ويكشف هذا التوجيه عن منهج العيني في تفسير الألفاظ الغريبة أو المحتملة بالاعتماد على السياق الشرعي واللغوي معًا، وربط البنية اللغوية بالمعنى المقصود في النص الحديثي.

ومن الألفاظ الغريبة التي اعتنى الإمام العيني بتفسيرها لفظ «السِّك» الوارد في الحديث، حيث أوضح أنه بضم السين وتشديد الكاف، وأنه نوع من الطيب يُخلط بغيره ويُستعمل في التطيّب، ولا يقتصر منهج العيني هنا على الشرح المعجمي للفظ، بل يتجاوزه إلى إزالة الإشكال الدلالي الذي قد يتبادر إلى الذهن، إذ ناقش كيفية جمع أم سليم لشعر النبي ﷺ وهو نائم، ثم أوضح أن المقصود هو جمع الشعر المتساقط عند الترجّل، مستشهدًا برواية أخرى أوردها محمد بن سعد عن أنس رضي الله عنه[31]، ومن المواضع التي يظهر فيها اهتمام الإمام العيني بالضبط اللغوي وبيان الفروق الصوتية حديثه عن لفظ «حنوطه»، حيث أوضح أن الحاء تُفتح، وحُكي ضمها أيضًا، مع ضم النون، ثم بيّن أن الحنوط هو الطيب الذي يُعدّ للموتى خاصة، ويخلط فيه الكافور والصندل ونحوهما، ناقلًا قول ابن الأثير: (الحنوط والحناط واحد)[32]، ويبرز في هذه الأمثلة تكامل التحليل اللغوي والدلالي عند العيني، حيث يجمع بين تفسير اللفظ، وبيان استعماله، وربطه بالسياق الحديثي بما يرفع اللبس ويوضح المعنى.

المطلب الثالث: أثر اختلاف الروايات في المعنى

يتعامل العيني مع اختلاف الروايات بوصفه ظاهرة طبيعية في نقل الحديث، ويؤكد أن هذا الاختلاف لا يؤدي إلى تضاد في المعنى، بل إلى تنوع في التعبير؛ ففي بعض الأحاديث التي وردت بألفاظ متعددة، يبين العيني أن اختلاف الرواية يؤدي إلى اختلاف في الصياغة فقط، بينما يبقى المعنى العام واحدًا، ويشرح كل رواية على حدة دون إلغاء الأخرى، يدل هذا على أن العيني يعتمد مبدأ "وحدة المعنى وتعدد اللفظ"، وهو مبدأ لغوي مهم في تحليل النصوص، حيث يُفهم الاختلاف بوصفه ثراءً تعبيريًا لا تناقضًا دلاليًا. ومن الجوانب التي تكشف عن وعي الإمام العيني باختلاف الروايات وتعامل المحدثين معها تعليقه على رواية ذكر الشعر في الحديث، حيث أشار إلى أن بعض العلماء عدّ ذكر الشعر «غريبًا»، ولذلك لم يورده الإمام مسلم في صحيحه[33]،

[30] العيني، عمدة القاري، ج 23، ص5
[31] العيني، عمدة القاري، ج22، ص264
[32] العيني، عمدة القاري، ج22، ص264
[33] العيني، عمدة القاري، ج22، ص264

ويبرز في هذا النص إدراك العيني لطبيعة الاختلاف بين الروايات الحديثية، ووعيه بأن بعض الألفاظ أو الزيادات قد تختلف درجة شهرتها أو قبولها بين المحدّثين، دون أن يؤدي ذلك بالضرورة إلى ردّ الرواية أو إبطال معناها. كما يعكس هذا التوجيه منهجه في الجمع بين الرواية الحديثية والتحليل اللغوي في تفسير النصوص.

ومن المواضع التي يظهر فيها منهج الإمام العيني في التعامل مع اختلاف الروايات ما أورده عند شرح حديث: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»، حيث نقل اختلاف الرواة في إسناد الحديث؛ فبعضهم رواه عن أبي أيوب الأنصاري، بينما وقع عند عقيل روايته عن أبي بن كعب، ثم ناقش العيني هذه الاختلافات، ناقلًا كلام الحافظ المزي في تضعيف بعض الطرق وترجيح الرواية المحفوظة[34]. كما بيّن العيني احتمال وقوع التصحيف أو السقط في بعض الروايات، بقوله إن اسم «أبي أيوب» ربما سقط منه لفظ «أيوب» فتوهم بعض الرواة أنه «أبي بن كعب». ويكشف هذا التوجيه عن دقة العيني في الربط بين الرواية والمعنى، واعتماده على التحليل اللغوي والحديثي معًا في تفسير الاختلافات النصية.

يتبين من خلال هذا المبحث أن الإمام بدر الدين العيني قدّم معالجة لغوية متكاملة في عمدة القاري شرح صحيح البخاري تقوم على توظيف اختلاف اللهجات، وشرح الألفاظ الغريبة، والتعامل مع اختلاف الروايات بوصفه تنوعًا لغويًا ودلاليًا. وقد أسهم هذا المنهج في إبراز سعة العربية ومرونتها، كما يعكس قدرة العيني على الجمع بين التحليل اللغوي والدلالة الحديثية في إطار علمي متكامل، يجعل من شرحه مصدرًا مهمًا في الدراسات اللغوية والنحوية التطبيقية.

النتائج

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج العلمية المتعلقة بمنهج الإمام بدر الدين العيني في توجيه الظواهر الشاذة في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ومن أبرزها ما يأتي:

- أظهر الإمام العيني اعتمادًا واضحًا على السماع اللغوي في تفسير الظواهر النحوية والصرفية، حيث قدّم الرواية المسموعة عن العرب على القياس المجرد، وعدَّ السماع أصلًا أساسيًا في الاحتجاج اللغوي.
- تبين أن مفهوم "الشذوذ" عند العيني لا يدل على الخطأ أو فساد الاستعمال، وإنما يشير إلى القلة أو مخالفة الأشهر من الاستعمال، وهو ما يعكس فهمًا مرنًا لطبيعة النظام اللغوي العربي.
- كشف البحث أن العيني كان يحرص على إيجاد تخريج لغوي للظواهر التي تبدو مخالفة للقياس، بدل ردّها أو تضعيفها، مما يدل على منهج توفيقي يجمع بين سلامة القاعدة النحوية والمحافظة على النص الحديثي.
- أظهرت الدراسة أن اختلاف اللهجات العربية شكّل مصدرًا مهمًا في توجيه الظواهر اللغوية عند العيني، إذ اعتمد على لغات القبائل العربية في تفسير كثير من الأبنية والتراكيب غير المشهورة.
- تبين أن العيني اعتمد على القرآن الكريم، والشعر العربي، وأقوال أئمة اللغة والنحو بوصفها أدوات أساسية في دعم توجيهاته النحوية والصرفية.
- كشفت الدراسة عن وجود علاقة وثيقة بين التوجيه النحوي والدلالة عند العيني، حيث لم يكن اهتمامه منصبًا على الإعراب الشكلي فقط، بل على أثره في توضيح المعنى الحديثي.

[34] العيني، عمدة القاري، ج22، ص 143

- أظهر البحث أن اختلاف الروايات الحديثية عند العيني لا يؤدي إلى التعارض، بل يفتح المجال لتعدد الأوجه الإعرابية والدلالية، مما يعكس مرونة النص العربي وقدرته على استيعاب التنوع التعبيري.
- أوضحت الدراسة أن العيني يتعامل مع التعدد الإعرابي بوصفه ظاهرة طبيعية في العربية، ولذلك كان يجيز أكثر من وجه نحوي إذا احتمله السياق والاستعمال.
- تبين أن منهج العيني يميل إلى التوسّع في الاحتجاج اللغوي، وهو ما يقربه من الاتجاه الكوفي في النحو، مع احتفاظه ببعض الأصول القياسية المعروفة عند البصريين.
- أكدت الدراسة أن كتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري لا يقتصر على كونه شرحًا حديثيًا، بل يمثل مصدرًا لغويًا مهمًا يضم مادة نحوية وصرفية ولهجية ثرية يمكن الإفادة منها في الدراسات اللغوية التطبيقية.

الخاتمة

تناول هذا البحث منهج الإمام بدر الدين العيني في توجيه الظواهر الشاذة في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري، من خلال دراسة الجوانب الصرفية والنحوية واللغوية واللهجية المرتبطة بالنصوص الحديثية. وقد أظهرت الدراسة أن العيني يمتلك رؤية لغوية واسعة تقوم على فهم العربية بوصفها نظامًا مرنًا قائمًا على السماع والاستعمال، لا على القياس المجرد وحده. كما كشفت الدراسة عن أن العيني لم يتعامل مع الظواهر الشاذة بوصفها إشكالًا لغويًا أو خروجًا عن الفصاحة، بل نظر إليها باعتبارها جزءًا من التنوع اللغوي العربي، وهو ما دفعه إلى البحث عن الأوجه الصحيحة لتفسيرها وتخريجها. وقد انعكس ذلك في كثرة اعتماده على الشواهد القرآنية والشعرية، وعلى اختلاف لهجات العرب، إضافة إلى عنايته بتعدد الروايات الحديثية وما ينتج عنها من اختلاف في البنية النحوية أو الدلالة. وأبرزت الدراسة كذلك أن منهج العيني يقوم على التكامل بين علوم اللغة والحديث، حيث يوظف التحليل النحوي والصرفي لخدمة المعنى الحديثي، دون أن يفصل بين الشكل اللغوي والدلالة. كما اتضح أن هذا المنهج يعكس نزعة علمية مرنة بعيدة عن الجمود القياسي، وتؤكد أن التراث اللغوي في شروح الحديث يمثل ميدانًا غنيًا للدراسات اللغوية التطبيقية. وبناءً على ذلك، فإن كتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري يُعدّ من المصادر المهمة في دراسة التوجيه اللغوي والنحوي في التراث العربي، لما يشتمل عليه من ثراء علمي يكشف عن عمق العلاقة بين الرواية الحديثية والدرس اللغوي.

التوصيات

بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها، يوصي البحث بما يلي:

- توسيع الدراسات المتعلقة بالتوجيه اللغوي والنحوي في شروح الحديث النبوي، لما تمثله من مادة علمية ثرية تسهم في فهم تطور الدرس اللغوي العربي.
- إجراء دراسات مقارنة بين منهج الإمام العيني ومناهج شراح الحديث الآخرين، مثل ابن حجر العسقلاني أو الكرماني، للكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف في معالجة الظواهر اللغوية.
- تخصيص دراسات مستقلة للظواهر الصرفية أو اللهجية في عمدة القاري شرح صحيح البخاري، نظرًا لغزارة المادة اللغوية التي يتضمنها الكتاب.

- دراسة أثر اختلاف الروايات الحديثية في توجيه المعنى النحوي والدلالي في كتب شروح الحديث الأخرى، بهدف بناء تصور أوسع عن العلاقة بين الرواية والتحليل اللغوي.
- الإفادة من المناهج اللسانية الحديثة في إعادة قراءة التوجيهات النحوية واللغوية في التراث، وربطها بالدراسات التداولية والدلالية المعاصرة.
- تشجيع الباحثين على تحقيق الجوانب اللغوية في كتب التراث الحديثي، وعدم الاقتصار على الدراسات الفقهية أو الحديثية التقليدية.
- إعداد معاجم أو دراسات معجمية متخصصة بالألفاظ الغريبة والتوجيهات اللغوية الواردة في شروح الحديث الكبرى، لتيسير الإفادة منها في الدراسات الأكاديمية.

قائمة المصادر والمراجع

ابن جني، أبو الفتح عثمان، (2008)، الخصائص، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الرفايعة، حسين عباس، (2005)، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، (1988)، الكتاب، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة.

ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي الجياني، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، مكتبة ابن تيمية.

أبو البركات الانباري، كمال الدين، (2003)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، بيروت.

أبو جليدان، موسى سالم إبراهيم. (2009). بدر الدين العيني ومنهجه النحوي في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري (دراسة نحوية تحليلية). رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان القرشي، (1974)، ديوان الإمام الشافعي، دار الجيل، بيروت.

أيوب، عبدون محمد. (1997). جهود الإمام بدر الدين العيني النحوية. رسالة ماجستير، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان.

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

الشامين، عبداللطيف بن إبراهيم. (2015). دلالات الألفاظ عند الإمام بدر الدين العيني في كتابه عمدة القاري. رسالة ماجستير، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.

صالح، ظافر هاشم مهيدي محمد. (2012). بدر الدين العيني وجهوده الفقهية في كتابه عمدة القاري. أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية / جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن.

العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

معتوق، صالح يوسف، (1983)، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

معتوق، صالح يوسف، (1983)، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

هناري، محمد عبد القادر. (2004). الاحتجاج النحوي بالحديث النبوي عند الإمام بدر الدين العيني في عمدة القاري. بحث علمي محكم.